الفصل الأول

الرهبانية قبل المسيحية

obeikandl.com

obeikandl.com

الرهبانية قبل المسيحية

لم تكن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي انفردت بالدعوة إلى الرهبانية والمبادئ النسكية.

ففي الديانات السابقة للمسيحية جماعات وطوائف كرست نفسها لحياة انعزالية أو نسكية على درجات متفاوتة من القسوة البدنية.

فلقد كان الزهد في الحياة عن طريق الابتعاد عن المغريات وكبت العواطف وإيلام النفس، وتعريض الجسم للأذى، والانعزال في الأماكن النائية من الظواهر المألوفة في التاريخ قبل ظهور المسيحية.

فهناك أناس بين الشعوب القديمة في الهند ومصر وشعوب آسيا الغربية تنسكوا وابتعدوا عن مغريات الدنيا [١].

وسوف نتحدث فيما يلي عن أهم الظواهر النسكية والرهبانية في الشعوب القديمة قبل ظهور المسيحية.

أولا: الرهبانية في الديانات الهندية

يبدو للناظر في خرائط الهند أن بلاد الهند واسعة الرقعة متباينة في أجوائها ومناخها واقتضى هذا التباين في الأجواء الطبيعية أن يختلف سكانها في أجسامهم وطبائعهم وأيضا في اتجاهاتهم وعقائدهم وطقوسهم الدينية.

ولقد أظهرت الكشوف العلمية أن بلاد الهند كان يسكنها بعض الأقوام قبل وفود القبائل الآرية إليها وهؤلاء الأقوام يعرفون بالسكان الأصليين لبلاد الهند.

---

(١) راجع دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية ص ١، د./ عبد القاهر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية ص ٧٢ المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٩٦٧م.

هذا وقد غزا الآريون [١] بلاد الهند في عام ١٥٠٠ قبل الميلاد[٢].

أصل النسك الهندى وبدايته:

يشير الباحثون إلى احتمال أن تكون بلاد الهند قد عرفت التنسك قبل مجيء الآريين.

يقول د. / رالف لنتون: (وما من شك في أن نظام النساك نشأ في الهند، ومن المحتمل جدا أنه كان معروفا فيها قبل مجيء الآريين، فهو شيء لا مثيل له بين حضارات الذين يتكلمون اللغات الهندوأوربية خارج الهند) [٣].

ومما يؤكد هذا أنه عثر على ختم في (موهنجو- دارو) - إحدى المدن التي اكتشفت حديثا والتي دلت أن للهنود حضارة قديمة تلتقي فيها مع أقدم الحضارات الإنسانية في الشرق الأوسط[٤] - وعليه نرى شخصا في جلسة كانت توصف بأنها جلسة الناسكين في العصور التالية[٥].

---

(١) لقد شاع استعمال كلمة «**الآريين**» على جميع القبائل الهندوأوربية ولكن المحققين من العلماء يشيرون أنها لا تطلق على وجه الدقة إلا على القبائل التي استقرت في بلاد الهند وبلاد فارس. وكلمة (آرى) تعنى النجيب أو الوفي، وكانت تطلق أيضا على الشرفاء، ولذلك عندما وطئت أقدام الآريين بلاد الهند اعتبروا أنفسهم بالشرفاء بينما اعتبروا السكان الأصليين فيها بالأرذال راجع: (حسن بيرنيا: تاريخ إيران القديمة ص ١٣ - ١٦) ترجمة د. / محمد نور الدين عبد المنعم، د. / السباعى محمد مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٩م، د./ محمد الندوى: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص ٦١ - ٦٣ ط دار الشعب سنة ١٩٧٠م.

(٢) وهناك بعض الآراء تشير إلى أن الآريين بدءوا يتوافدون على الهند حوالى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد (راجع همايول كبير: التراث الهندى ص ٥ مجلس الهند للروابط الثقافية).

(٣) د. / رالف لنتون: شجرة الحضارة جـ٣ ص١٧٥ ترجمة د./ أحمد فخرى، مكتبة الأنجلو سنة ١٩٦١م.

(٤) كان تاريخ الهند قبل عام ١٨٠٠ ق. م. مجهولا تماما حتى أوائل القرن العشرين الميلادي، ثم بدأت الحفريات في السند على شواطئ نهر الهند في عام ١٩٢٢م، ونتيجة لذلك ظهر أول كتاب (وهو عبارة عن نتائج أعمال الأحفار في وادي نهر الهند) وذلك في لندن عام ١٩٣٢م بعنوان (موهنجو دارو وحضارة نهر الهند)، ثم تتابعت عمليات الحفر والتنقيب. راجع د./ محمد الندوى: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص ٢١).

(٥) شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٧٤.

ويدل على ذلك أيضا أن (ميجاستينس) - الذي كان سفيرا للإمبراطورية السلوقية التي كانت في الشرق الأدنى وكان قد ذهب إلى الهند عام ٣٠٢ قبل الميلاد - يذكر أن الناسكين قد أصبحوا في أيامه منذ قرون كثيرة شيئا عاديا في الحياة الهندية[١].

أما عن أصل النسك الهندى فليست هناك بداية محددة ولا معرفة مؤكدة عن أصل النسك الهندى في الفترة الأولى قبل قدوم الآريين.

وكل ما يقال عن النسك في هذه الفترة إنما هو من قبيل الاحتمال أو الظن أو التخمين.

لذلك يقول د. / رالف لنتون: (وربما كان النسك الهندى في بدايته شبيها من الناحية السيكولوجية بالبحث عن الرؤيا والإلهام لدى هنود شمالي أمريكا. فقد كان طالب الرؤيا يصوم ويوقع على نفسه بعض أنواع التعذيب ليستدر بهذا العمل عطف إحدى الكائنات ذات القوى التي فوق الطبيعة، فإذا نجح فإن ذلك الكائن يظهر أمامه - كما يعتقدون - ويعده بالمساعدة ويذكر له في الوقت ذاته أشياء معينة يحرم عليه فعلها، وعلى الإنسان مراعاة ذلك مراعاة تامة حتى يحتفظ بصلته مع هذا الكائن) [٢].

وارتبط النسك منذ بدايته في بلاد الهند بالمشقة والتعذيب وذلك عن طريق حرمان الجسد من كل وسائل الراحة واللذات. وكان الهدف منها - في نظرهم - التقدم الروحي حتى يصل الراهب إلى درجة اجبار المعبودات على طاعته.

فمنذ الوقت الذي بدأ فيه النسك الهندى يظهر في التاريخ كان القيام بأشياء قاسية شديدة يحمل في ثناياه - كما يقول د./ رالف لنتون - التحدي ضد القوى التي فوق الطبيعة. وكان الناسك يصوم وكان صومه في الواقع

(١) المرجع السابق نفس الصفحة. (٢) المرجع السابق ص١٧٥.

تحديا للمعبودات، لأن ذلك يزيد من قواه الروحانية.

وفي أسطورة من أقدم الأساطير نقرأ عن ناسك استطاع أن يقوم بالكثير من كفارات التوبة حتى أصبح له من القوة ما جعله يجبر المعبودات على طاعته [١].

وكان الناسك يصل إلى هدفه - في نظرهم - بعد أن يقوم بعدة أعمال أهمها:

- قطع الصلة بكل ما يربطه بالدنيا بما في ذلك ما يربطه بعائلته أو ثروته.

- الاعتزال في مكان بعيد عن الغابة حيث يتفرغ للتأمل ولتمرينات رياضية مختلفة تستهدف حصوله على السيطرة التامة على جسمه[٢].

النسك الهندى في عصر الديانة البراهمانية الأولى [٣]:

تنسب هذه الديانة إلى «**براهمان**» [٤] أحد الأسماء التي ذكرت في «**الفيدا**» والتي كان الكهنة يستعملونها لتعيين الكائن الأوحد [٥] وأطلق اسم الديانة البراهمانية: على العقائد والمبادئ الفلسفية التي اعتنقها الكهنة مستنبطة من الفيدات الثلاث الأخيرة - وهي ساما فيدا، ياجو فيدا، آثار فيدا - بطريقة التأمل[٦] وقد ظهرت هذه الديانة فيما بين سنتي ٨٠٠ - ٦٠٠ ق. م. وترجع

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة. (٢) المرجع السابق ص ١٧٦.

(٣) توصف الديانة البراهمانية التي ظهرت بين سنتي ٨٠٠ - ٦٠٠ قبل الميلاد بالبراهمانية الأولى أما التى ظهرت بعد بوذا فتوصف بالبراهمانية الثانية.

(٤) أن كلمة «**براهما**» أو «**براهمان**» كانت - في البداية- بمعنى التبتل، والشعار الديني، والصلاة، والترنيمة الدينية، وفي عصور متأخرة أطلق على الكاهن اسم «**براهمان**»، وقد يكون السبب في ذلك أن الكاهن عابد متبتل أو مؤلف للترنيمات الدينية، وأيضًا أطلق على سيد الآلهة - لدى الهنود - اسم «**براهما**» وأطلق أيضا على الملحق على الكتب الفيدية الأربعة، وأخيرا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس (راجع حامد عبد القادر: بوذا الأكبر ص ١٦، الهند القديمة ص ٨٩).

(٥) راجع د./ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٩٧ ط الثانية مكتبة الأنجلو سنة ١٩٥٠م.

(٦) بوذا الأكبر ص ١٦.

بالإضافة إلى الفيدات الثلاث الأخيرة إلى ثلاثة كتب مقدسة هي:

١- البراهماناس: وهو كتاب مستنبط من الفيدات الثلاث الأخيرة.

٢- الأرانياكاس: يحتوى هذا الكتاب على التعاليم التي يجب أن يسير عليها الكهنة.

٣- الأوبانيشاد: ويشتمل على الأفكار الفلسفية التى أنتجتها هذه الديانة[١]

أما بالنسبة للتنسك: فنجد أنه بعد أن أصبحت الديانة البراهمانية الأولى هي السائدة تغير الحال وأصبح النظام النسكى الهندى واضحا. غير أنه في خلال هذه الفترة مر بمراحل متعددة.

ففي البداية نجد أن الفرد الهندى في العهد الأول كان يعتبر شخصه بعض الإله الأعظم - (براجاباتى)[٢] وذلك حسب اعتقادهم - ولهذا نصت «الفيدا»[٣] على أن جميع الأعمال البشرية خير، وأن الشر لا يقع إلا من الخطأ

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ١٠٢.

(٢) الإله براجاباتى- هو إله الذرات والإنسان والكائنات كلها - لدى الهنود - وقد برز اسمه في كتب الفيدا الأخيرة، وقد وصفته كتب الفيدا بالكلمات الآتية - قد نشأ هذا الإله كما تنشأ الجرثومة الذهبية، فلما ولد أصبح سيد هذا الكون. وهو الذي أبرز السماء والأرض إلى الوجود، ومنح الحياة والقوة لجميع الألهة وبهذا يكون هذا الإله - في نظر الهنود- خالق الكائنات والآلهة والإنسان وأعمال الإنسان وصفاته والمبادئ والمثل (راجع الهند القديمة ص ٨٨).

(٣) الفيدا هو الكتاب المقدس لدى الهنود، ومعنى كلمة «فيدا»: العلم والمعرفة وهى كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة «فيديا» ومعناها علم أو قانون، وقد ذكر د./ محمد غلاب أن أدق معنى لهذه الكلمة هو العلم عن طريق الدين بكل ما هو مجهول، وينجم عن هذا التعريف أن تكون «الفيدا» منبع جميع المعارف الهندية من دينيات وأخلاقيات ونظريات علمية أو اجتماعية (راجع: بوذا الأكبر ص ١٠، الفلسفة الشرقية ص ٩٢ - ٩٣).

وقد اختلف في أصل وضعها وزمن وضعها؟ فالبعض يرى أنها ترجع إلى مصادر هندية قديمة، والآخرون يرون- وهو الراجح - أن الفيدا كتاب الآريين أتوا به إلى الهند وأذاعوه فيهم في حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعد استيلائهم على بلاد الهند، ويرجح هذا الرأي ما فيها من صور عقلية واجتماعية هي على طرفي نقيض مع الصور التى كشفها الأثريون حديثا للهند القديمة. وفوق ذلك فهي مكتوبة باللغة السنسكريتية وهى لغة لم تكن معروفة لدى الهنود الأصليين ولكنها كانت.....=

في الطقوس الدينية أو التقصير في أدائها.

ثم بدأت نظرة الفرد إلى أعماله تتغير وذلك حين ضعفت ثقته في نفسه، ولذلك نص كتاب (البراهماناس) [١] على أن الأعمال البشرية مزيج من الخير والشر، وأن الخيرين يذهبون إلى جوار الآلهة ليستمتعوا بالنعيم الخالد، وأن الشريرين يذهبون إلى العذاب أو إلى العدم المطلق إذا لم يستعينوا على النجاة منه بطقوس معينة تدعى (كارمان)[٢].

ثم تغيرت النظرة إلى الأعمال تغيرا كبيرا، فأعلن كتاب **«الأوبانيشاد»**[٣] أن جميع الأعمال البشرية- سواء منها ما كان خيرا في ذاته أو شرا في ذاته - شر من غير استثناء لسببين:

الأول: أنها على اختلاف أنواعها تلهى الفرد عن التفكير في جوهره المطلق

=لغة الآريين القاطنين في بلاد الهند وحدهم. ولا يعرف المؤرخون بالضبط متى جمعت **«الفيدا»** وإنما كل الذي ثبت لديهم هو أن بعض أناشيدها يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأن صيرورة هذا الكتاب إلى ما هو عليه قد استغرقت عدة قرون. ويرجح بعض العلماء أنه قد جمع في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. أما من الذي وضع هذا الكتاب؟ ففيه أيضا اختلاف، فالبعض يرى أن وضعه قد تم على أيدي فريق من حكماء الهند القدامى يطلق عليه اسم الريشيين أي الحكماء أو العارفين الذين دونوا بأيديهم الحكمة التي وصلت إليهم بطريق الإلهام الشخصي أو بطريق الرواية الشفوية ممن سبقهم، والآخرون يرون أن الذي ألفه رجال كثيرون من رجال الدين الآريين باللغة السنسكريتية وبالشعر، وبهذا لم يكن للفيدا مؤلف واحد كما لا يمكننا تحديد أسماء مؤلفيه. وكان يتكون في أول الأمر من أربعة أقسام (ريج فيدا) ويحتوى على الأوراد، و (سامان فيدا) ويحتوى على الأناشيد، و (ياجوس فيدا) ويحتوى على طقوس الضحايا والقرابين، و(آثار فيدا) ويحتوى على التعاويذ السحرية. (راجع د./ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص ٩٢، ٩٣، الأستاذ حامد عبد القادر بوذا الأكبر ص ١٠ - ١٥، سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، مكتبة نهضة مصر، الهند القديمة ص ٩٨.

(١) البراهماس: هو الكتاب المقدس الأول لدى البراهمانيين وهو كتاب مستنبط من الفيدرات الثلاث الأخيرة السابق ذكرها في الهامش السابق، ويشتمل على مقالات تفيض في شرح الطقوس والشعائر الدينية التي يمارسها رجال الدين في نظام تفصيلي دقيق (راجع المراجع المشار إليها في الهامش السابق).

(٢) راجع الفلسفة الشرقية ص ١٠٧ بتصرف.

(٣) أحد الكتب المقدسة لدى البراهمانية الأولى، والراجح لدى العلماء أنه دون في القرن السادس قبل الميلاد، ويتضمن هذا الكتاب الأفكار والآراء التي أدركها أهل التبتل والتنسك.

أو في (أتمانه) الأعلى أو في (براهمان أتمان) وهذا هو مبدأ وحدة الوجود الذي شاع في الديانات الهندية.

الثاني: أن هذه الأعمال تنتج (الكارمان) الذي أصبح معناه نوعا من المسئولية يوجب جمع أعمال كل شخص ويحتم على صاحبها العودة إلى الحياة بواسطة التناسخ المشقى أيا كان لون هذه الأعمال. لأن الخير من بينها كالشر يعيد الإنسان إلى الحياة، وإن كان هناك فرق بين الحياتين في السعادة والشقاء [١].

والمنقذ الوحيد - في نظرهم - من هذا التناسخ أو من الحياة والموت معا هو اعتزال الأفعال نهائيا، ولكن هذا الاعتزال لا يتحقق إلا بوسيلتين:

الأولى: المعرفة التى لا تتم النجاة والسلام إلا بها، لأن بها وحدها - في نظرهم - ينمحي الزيف من القلب البشرى، وبها يتحرر الفرد من قيود الأخطاء، ولهذا يعلن **«الأوبانيشاد»** أن الطريقة الوحيدة للامتزاج بـ **«براهمان»** هي المعرفة.

أما الوسيلة الثانية: فهي انحصار الإنسان في نفسه، والتمركز في داخل مطلقه الأزلي، واعتزال الحياة بوجه عام.

فإذا أخذ الإنسان في أسباب هذا الاتصال - أو الامتزاج كما يقولون - بـ **«براهمان»** وجب عليه أن يجعل غايته كشف السر الأسمى - في نظرهم - ووسيلته إلى هذا الكشف اعتزال الحياة وما تحويه من مظاهر وأعمال، وتسليمه نفسه إلى التأمل العميق المنتهى إلى الغيبوبة والامتزاج بـ (براهمان) والفناء فيه [٢].

ويزيد كتاب **«الأوبانيشاد» هذا المعنى وضوحا إذ يقول (كما أن الصائغ يأخذ قطعة**

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ١٠٧ - ١٠٨ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩.

من الذهب فيجعل منها قطعة أخرى أجد وأجمل شكلا، فكذلك هذه النفس البشرية الجزئية، فإنها بعد أن تنبذ هذا الجسد، وتتخلى عن جميع مظاهر الجهل تجعل من نفسها نفسا أخرى أجد وأجمل شكلا كشكل الأب، أو كشكل براهما، أو غير هذا أو م اك من الكائنات»[١].

وفي هذه الفترة - فترة انتشار الديانة البراهمانية - كانت حياة النسك - كما تقول الكتب الهندية المقدسة التى تم تأليفها في بداية العصر التاريخي- مفتوحة أمام أعضاء الطبقات[٢] الثلاث التى تحتل أعلى مكانة وهم:

١- براهما. ٢- كشاتريا. ٣- بيش.

لكنها كانت محرمة على طبقة «السودرا».

يقول د. / رالف لنتون (ولم تقتصر حياة النسك على الباحث في الروحانيات بل شملت الأمير الذي تعب من منصبه، والزوج الذي لم يعد يطيق معاشرة زوجته، أو التاجر الذي يلاحقه دائنوه، فإن أي واحد من هؤلاء كان باستطاعته أن ينضم إلى صفوف الرجال المقدسين كان يذهب إلى الغابة، ويعتزل الناس ويحيا حياة بسيطة طاهرة، وفي أكثر الأحيان كان يتتلمذ على أحد الرجال المقدسين ذوى الشهرة فيعمل خادما له، ويتلقى في مقابل ذلك إرشاداته، وفي بعض الأماكن أقامت جماعات من المتوحدين [٣] الذين كانوا يقضون الوقت في مناقشات فلسفية، وفي دراسات للآداب المقدسة، وفي التأمل.

(١) بوذا الأكبر ص ٢١.

(٢) يحدثنا التاريخ أن طبقات الشعب الهندى في عهد البراهمانية الأولى كانت أربعا:
الطبقة الأولى: براهمان وهم الكهنة.
الطبقة الثانية: كشاتريا أو كشتر وهم طبقة الجند.
الطبقة الثالثة: بيش وهم طبقة العمال وأصحاب المهن الزراعية.
الطبقة الرابعة: سودرا وهم طبقة الأرقاء. (راجع البيرونى: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص٧٦ - ٧٧، طبعة دائرة المعارف العثمانية، عالم الكتب سنة ١٩٥٨م.)

(٣) والمتوحدون هم الذين كانوا يعيشون في وحدة وعزلة بعيدا عن الناس.

وفي خلال العصر التاريخي المبكر كان كثير من هذه الآداب مازال ينقل عن طريق التلقين الشفهي وكان يتحتم معرفته وحفظه بطريق الصم حفظا غيبا[١].

وبرغم أن حياة النسك في هذه الفترة كانت مفتوحة أمام الطبقات الثلاث السابق ذكرها، إلا أنه كان يوجد تفريق واضح بين البراهمانيين - وهم أصحاب الطبقة الأولى- والنساك من الطبقات الأخرى.

فالبراهمانيون يستطيعون أن يصبحوا نساكا لكن أكثرهم لم يفعل ذلك.

كان البراهمانيون مهرة فيما يتعلق بما فوق الطبيعة، وكانوا كهنة محترفين يعرفون الطقوس المعقدة الطويلة التى تتطلبها الديانة البراهمانية، ولكنهم في خارج نطاق واجباتهم الدينية كانوا يحيون حياة عادية اللهم إلا تلك الحدود التى تفرضها عليهم تعليمات طبقتهم، وكان كثيرون منهم يحبون الحصول على الثروة أو السيطرة الاجتماعية[٢].

النسك الهندى في الديانة الجينية والديانة البوذية:

في القرن السادس قبل الميلاد ظهرت في بلاد الهند ديانتان هما:

١- الديانة الجينية.

٢- الديانة البوذية.

وهاتان الديانتان كانتا رد فعل لما أحدثته الديانة البراهمانية من التفريق بين الناس واعتبار الكهنة هم الطبقة الأولى في المجتمع وأن لهم من المكانة ما لا يستطيع أحد بلوغها فهم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على الآلهة والتعامل معهم بالطقوس والقرابين.

وقد ظهرت هاتان الديانتان في وقت واحد تقريبا ولهدف واحد هو

(١) شجرة الحضارة جـ٣ ص١٧٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨.

تخفيف حدة الديانة البراهمانية وتوجيه الطعنات إليها - وإن شئت الدقة - فقل «المحاولة إصلاح بعض تعاليمها»[١].

١- النسك في الديانة الجينية:

مؤسس هذه الديانة (فاردامانا ماهافيرا) ولد حوالي سنة ٥٩٩ ق. م. وتوفى سنة ٥٢٧ ق.م، واشتهر عنه أنه كان زاهدا.

وتنسب إلى «جينا»[٢]

كانت معظم تعاليم هذه الديانة تتعلق بالناحية العملية فهي تركز على رياضة النفس وعلى الزهادة والتحرر من قيود الشهوات واعتزال جميع مظاهر الحياة، ولذلك كانت هناك جماعات من أتباع هذه الديانة تسمى بالرهبان.

ولا تقتصر الرهبنة في هذه الديانة على الرجال فقط بل شملت النساء أيضا، وسوت بينهن وبين الرجال في نتيجة الزهادة. ولذلك قبلت زهادة النساء على أن تقيم لهن صومعات خاصة غير صومعات الرجال[٣]

نظم الرهبنة في الديانة الجينية:

أقرت هذه الديانة مبدأين من أكثر المبادئ شيوعا في الهند وهما: الزهد والتقشف إلى أقصى حد، ومبدأ الامتناع عن تعذيب الإنسان وأي نوع من أنواع الحيوان بأي صورة من صور التعذيب. هذا وقد وضع مؤسسو الديانة الجينية نظما للرهبنة تتلخص فيما يلي:

(١) كان على الراهب الجينى أن يلتزم بالوفاء بخمسة عهود هى:

o عدم القتل.

---

(١) جوزيف كاير: حكمة الأديان الحية ص ١١، ترجمة حسين الكيلانى، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٦٤م.

(٢) و«جينا» ليس اسم علم ولكنه صفة معناها القاهر أو المتغلب وقد وصفت بذلك لأن مؤسسيها عرفوا بقهر شهواتهم والتغلب على رغباتهم المادية. (راجع بوذا الأكبر ص ٢٦).

(٣) الفلسفة الشرقية ص ١٩٩.

- عدم الكذب.
- عدم السرقة.
- التمسك بالعفة.
- الزهد في الملكية.

(٢) وكان عليه أيضا ألا يلحق الضرر بأي كائن، وكان الخوف من إيذاء المخلوقات يلازم الراهب في كل عمل يقوم به.

(٣) وكان يحرم على الراهب الجينى أكل اللحوم. ولقد غلا الرهبان الجينيون في تطبيق هذين المبدأين غلوا شديدا، حيث إنهم كانوا يضعون على أفواههم وأنوفهم شبه كمامة تمنع دخول أي كائن حي فيها عند التنفس وحين يمشون في الطريق يمسك الواحد منهم بيديه مكنسة يكنس بها الطريق خشية أن تطأ قدماه كائنا حيا صغيرا بريئا فيموت.

(٤) وكان على الراهب الجينى أيضا أن يلتزم جانب الحيطة والحذر في تصرفاته، وأن يضبط نفسه إلى أقصى حد فلا يسمح لجسمه ولا للسانه ولا لعقله بمخالفة الفضائل، وعليه أن يقمع شهواته ويجنب نفسه الشعور بالآلام أو المضايقات.

(٥) وكان على الراهب الجينى أيضا أن يؤدى جميع الواجبات المفروضة عليه باعتباره راهبا وفي مقدمة ذلك المثابرة على التأمل الروحاني[١].

ويعتقد الجينيون أنه بعد أن يلتزم الراهب الجينى هذه الرياضات النفسية في دقة وصرامة اثنتي عشرة سنة - يسمح له بالاستمتاع بنعمة الموت جوعا كي تنقطع أعماله التى في كل منها مظنة إلحاق الضرر بكائن من الكائنات المزودة بالأرواح.

ووصول الراهب الجينى إلى هذه المنزلة يدل في نظرهم على أن هذا

(١) راجع: بوذا الأكبر ص ٢٩ - ٣٠، الهند القديمة ص ١٤٣.

الراهب قد وصل إلى أسمى درجات الزهد والتقشف[١].

٢ - النسك في الديانة البوذية:

تنسب إلى «جوتاما بوذا» [٢] الذي ولد في القرن السادس قبل الميلاد. وقد عاش «بوذا» حياة الزهد والتقشف [٣].

يذكر المؤرخون أنه رغم أن والده كان رئيس قبيلة وكان من الطبقات الممتازة إلا أنه فضل حياة التنسك والزهد، وقد اقتنع بديانته عدد كبير من الهنود، وبدأت تنتشر شيئا فشيئا حتى انتشرت في بلاد الشرق.

وأهم مبادئ بوذا الدعوة إلى التقشف والزهد.

نظم الرهبنة في الديانة البوذية:

كانت الفكرة الرئيسية لمذهب «بوذا» فكرة الألم لأن الحياة عنده كلها إما ألم واقعي، وإما سرور سريع حائل ينتهي حتما إلى ألم محقق.

ولما كانت غاية «بوذا» من مهمته هي النجاة من كل هذا فقد فكر وأطال التفكير في الوسيلة التى يستخدمها للوصول إلى هذه الغاية، فانتهى به تفكيره إلى أربع حقائق[٤] وهي كما يلي:

أولا: أن الوجود كله هم وحزن، بمعنى أن الحياة بجميع صورها - الولادة والنمو والشيخوخة والمرض وفراق الأحباب - ليس فيها إلا ما يؤلم الإنسان

---

(١) بوذا الأكبر ص ٣١.

(٢) أن «بوذا» ليس اسم علم على شخص، وإنما هو لقب شرف ديني عظيم - لدى الهنود - معناه الحكيم أو المستنير، ولا يطلق في اصطلاح المتدينين من الهنود إلا على كل من هؤلاء الأفراد القليلين من بني الإنسان الذين جاهدوا جهادا روحيا عنيفا في سبيل الوصول إلى الحق (المرجع السابق ص ٣٤).

(٣) عن تفاصيل حياة بوذا، راجع توملين: فلاسفة الشرق ص ٢١١ طبعة دار المعارف، الهند القديمة ص ١٤٥، بوذا الأكبر ص ٣٥.

(٤) راجع: الفلسفة الشرقية ص ١٣٣، بوذا الأكبر ص ٨٣.

ويضيره ويسبب له الهم والحزن، ولذلك فالعالم كله ألم في رأى جوتاما بوذا.

ثانيا: أن هذا الألم نشأ عن أصل في الإنسان وهذا الأصل هو الشهوة، فالشهوة هي سبب الغم والحزن. فالإنسان باتصاله بالحياة الخارجية تتحرك في نفسه الشهوات الحسية، والرغبات الدنيوية، فتتوق نفسه إلى الاستمتاع بملذات الحياة ومباهج العيش وهو في الغالب- كما يرى بوذا- لا يستطيع تحقيق أمانيه ولذلك يعتريه الحزن ويحيط به الغم من كل جانب. فالشهود هى منبع الحزن والهم والغم، ولذلك فهي مصدر الألم.

ثالثا: لكي يتخلص الإنسان من الألم والحزن والهم والغم يجب عليه أن يتغلب على تلك الشهوة وأن يقطع كل صلة تربطه بالحياة المادية.

لذلك يقول بوذا (انظروا أيها الرهبان ها هي ذي الحقيقة المقدسة بشأن الألم. إن الولادة والشيخوخة والمرض والموت وفراق الإنسان لمن يحبهم، إنها كلها آلام، إنها التعطش إلى اللذة، والتعطش إلى البقاء، والتعطش إلى ما هو فان. وها هي ذي الحقيقة عن محو الآلام، إنها القضاء على تلك الشهوة بالقضاء على الرغبة)[١]

فقتل الشهوات ومحو الرغبات - في رأي بوذا- هو الذي يحرر الإنسان من أغلال الحياة، وينقذه من آلامها.

رابعا: لكي يصل الإنسان إلى القضاء على كل أثر من آثار الشهوة يجب عليه أن يمزج حياته بمجموعة من الفضائل المعينة [٢] أهمها: الاتجاه دائما

---

(١) شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٩٢.

(٢) ذكر د./ رالف لنتون، والأستاذ/ حامد عبد القادر ود./ محمد الندوى وغيرهم أنه لكي يصل الإنسان في نظر البوذية إلى القضاء على الشهوة والوصول إلى المرتبة الروحانية عليه أن يتبع في سلوكه ثمانية مبادئ هي: الأفكار الصحيحة، ويقصد بها في نظر البوذيين الاعتراف بالحقائق الأربع التي ذكرناها، والأغراض الشريفة، والقول الطيب، والعمل الصالح، والحياة الصحيحة، وبذل المجهود الصادق، والاهتمام الصحيح، وصدق التأمل الروحاني (راجع: شجرة الحضارة جـ٣ ص ١٩٣، بوذا الأكبر ص ٨٤ - ٨٥، الهند القديمة ص ١٤٧).

إلى عمل الخير، والتفكير فيه، واجتناب الاتجاه إلى الشر والتفكير فيه، وألا يقتل أي كائن حي، وألا يسرق، وألا يكذب، وأن يحفظ لسانه من السب والاستهزاء بالناس. لذلك قال بوذا: على المرء ألا يقتل كائنا حيا، ولا يأخذ ما يعطى له، ولا يكذب، ولا يسكر، ولا يزنى»[١].

ويتبع هذا التفرغ للتأمل والتبتل والرياضة الروحانية، والانغماس فيها كي يصل الإنسان إلى أعلى درجات الرقي الروحاني - لدى البوذيين - إلى «**النيرفانا**»[٢].

---

(١) د./ إيفار ليسنر: الماضي الحي ص ١٧٨. ترجمة شاكر إبراهيم. مراجعة د./ محمد عصفور. الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨١م.

(٢) يذكر «**ول ديورانت**»: أن الآراء اختلفت حول معنى «**النيرفانا**»، والسبب في هذا أن بوذا قد ترك معناها غامضا، ولذلك جاء أتباعه وفسروا الكلمة بكل ما يستطيع أن يقع تحت الشمس من ضروب التفسير: فالكلمة في السنسكريتية بصفة إجمالية معناها «**منطفى**» كما ينطفئ المصباح أو تنطفئ النار. أما الكتب البوذية المقدسة فتستعملها بمعان:

(١) حالة من السعادة يبغاها الإنسان في هذه الحياة باقتلاعه لكل شهواته الجسدية اقتلاعا تاما.

(٢) تحرير الفرد من عودته إلى الحياة.

(٣) انعدام شعور الفرد بفرديته.

(٤) اتحاد الفرد بالله.

(٥) فردوس من السعادة بعد الموت.

أما الكلمة في تعاليم بوذا فمعناها فيما يظهر إخماد شهوات الفرد، وما يترتب على ذلك للذات من ثواب ويقصد به الفرار من العودة إلى الحياة.

وأما في الأدب البوذي فكثيرا ما تتخذ الكلمة معنى دنيوي، إذ يوصف القديس في هذا الأدب مرارا بأنه اصطنع النرفانا في حياته الدنيا بجمعه لمقوماتها السبعة وهي: السيطرة على النفس، والبحث عن الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركيز، وعلو النفس.

تلك هي مكونات النرفانا، لكنها لا تكاد تكون عواملها التي تسبب وجودها، أما العامل المسبب لوجودها، والمصدر الذي تنبثق عنه النرفانا فهو إخماد الشهوة الجسدية، وعلى ذلك تتخذ كلمة «**النرفانا**» في معظم النصوص معنى السكينة التى لا يشوبها ألم، والتي يثاب بها المرء على إعدام نفسه إعداما خلقيا. (راجع قصة الحضارة، المجلد الأول جـ ٣ ص ٨٤ - ٨٥).

ولقد حدد الأستاذ / حامد عبد القادر معنى «**النيرفانا**» فقال (وكان يقصد بالنيرفانا في أول الأمر: انتقال الروح إلى الملأ الأعلى بعد أن يحيا الفرد حياة خلقية صافية راقية لا تضطره لأن يحيا حياة أخرى ولكن هذا المبدأ طرأ عليه فيما بعد معنى جديد، إذ قصد به: وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية والفرق بين المعنيين واضح، فالمعنى....=

وكان بوذا يشترط على أتباعه الفقر، والطهارة، وعمل الخير، ويطلب منهم أن يلبسوا لباسا يميزهم - وهو الثوب الأصفر- وحلق قمة الرأس، ونظمهم في جماعات من رهبان الأديرة.

وكان الرهبان البوذيون والراهبات اللاتي قَبِلَ بوذا انضمامهن إلى تنظيمه الديني بعد شيء من التمنع[١] يخرجون للتبشير بدينهم في الفصول غير الممطرة.

أما في الفصول الممطرة فكانوا يعودون إلى أديرتهم ويقضون الوقت في التأمل والدراسة[٢].

يذكر المؤرخون أنه بعد وفاة بوذا اختلف أتباعه حوله اختلافا كبيرا، وانقسموا إلى جماعتين:

- جماعة الهينايانا.
- جماعة المهايانا.

وهذه الجماعة الأخيرة هي التي أضفت على بوذا صفات الألوهية وعرضته في صورة رب العالمين.

أما جماعة (الهينايانا) فقد عرضته في صورة بشرية [٣].

وقد انتشرت البوذية بعد بوذا انتشارا كبيرا وساعد على ذلك أن الإمبراطور

=الأول يقضي بأن هذا المبدأ لا يتحقق إلا بعد الموت. أما الثاني فيقضي بأنه من الجائز أن يصل المرء إلى مرتبة النيرفانا في حياته - إذا أفلح في الوصول إلى الدرجات العليا من درجات الرقى الروحاني ولم يكن ثمة داع إلى تناسخ روحه (راجع بوذا الأكبر ص ٨١).

(١) ولقد حذر بوذا أتباعه من مصاحبة النساء لذلك حين سأله أحد أحباره: ماذا نفعل عندما تتحدث إلينا النساء؟ أجابه بالقول كن حذرا غاية الحذر (راجع الماضي الحي ص ١٧٨) ويذكر «توملين» أن بوذا برغم أنه حذر أتباعه الرجال بالإقلال من التعامل مع النساء قدر المستطاع. لم يظهر هو نفسه نفوره من تكرار مصاحبتهن (راجع فلاسفة الشرق ص ٢٣١).

(٢) شجرة الحضارة جـ ٣ ص ١٩٠.

(٣) راجع: الهند القديمة ص ١٥٤.

«أشوكا»[١] اعتنق الديانة البوذية وتحمس لها حتى أصبح من أكبر المبشرين لا في إمبراطوريته فحسب بل فيما جاورها وما وراءها أيضا، ولذلك أرسل سفراءه إلى بلاد اليونان وأنطاكية والإسكندرية، للتبشير بالديانة البوذية.

ولم تأت سنة ٢٠٠ ق. م والمؤلفات البوذية منتشرة في معظم أنحاء العالمين اليوناني والروماني.

الخلاصـــة:

يتضح لنا مما سبق أن الهنود كانوا يدينون بالزهد والتقشف الصارم، وإذلال الجسد، وكانوا يرون أن الطريق الوحيد للوصول إلى السعادة والرقى الروحي - في نظرهم - هو قتل الشهوات ومحو الرغبات، ولا يكون ذلك إلا بتعذيب الجسد بشتى الوسائل وحرمان الإنسان من كل وسائل الراحة.

وهذه الرهبنة الهندية انتقلت إلى بلاد كثيرة من بلاد العالم قبل ظهور المسيحية.

ثانيا - الرهبانية في الديانة المصرية القديمة

يحدثنا التاريخ القديم أن المصريين هم أكثر الشعوب القديمة تدينا، وهم أيضا أشد تلك الشعوب تمسكا بالمعتقدات الدينية.

«لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل شكل من أشكاله، من الطواطم [٢] إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب، وفي

---

(١) إمبراطور هندى عاش ما بين عامي ٢٩٣ ق. م - ٢٣٢ ق. م.

(٢) تطلق كلمة **«طوطم»** التي تنسب إليها **«الطوطمية»** على كل أصل حيواني أو نباتى تتخذه عشيرة ما رمزا لها ولقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله وتنزل الأمور التى ترمز إليه منزلة التقديس. عرفت (الطوطمية) لدى القبائل البدائية في استراليا والهنود الحمر في شمال أمريكا «لمزيد من المعلومات عن الطوطمية راجع: المعجم الفلسفي ص ١١٣، معجم العلوم الاجتماعية ص ٣٧٣، د./ على عبد الواحد وافى: الطوطمية (سلسلة اقرأ ص١٣) وللمؤلف نفسه: غرائب النظم والتقاليد والعادات ص١٩).

نظام الحكم، وفي الفن وفي كل شيء، وليس هو مختلف الصور والأنواع فحسب بل هو أيضا غزير موفور»[١].

كان الدين يسيطر على كل تفكير الإنسان المصرى، ويمثل المكانة العظمى في حياة المصريين، وكان هو الحافز الأكبر لما نشأ في مصر القديمة من علوم وفنون، وبه أيضا اصطبغت آدابها وفلسفتها.

«ولذلك تكوّن في مصر عدد كبير من المعتقدات الدينية التى تنوعت أفكارها وتعددت مذاهبها، فهناك من الآلهة ما عبد في موطن واحد، وأخرى عبدت في مواطن مختلفة، كما كانت هناك آلهة اختلفت أوصافها واتحدت في شكلها، وكذلك آلهة اتحدت في اسمها واتخذت أشكالا مختلفة»[٢].

ويحدنا التاريخ القديم أيضا أن الميول النسكية وحياة الزهد والتنسك كانت واضحة في الديانة المصرية القديمة، وأن مصر قد ظهر فيها جماعات تعنى بالتنسك والرهبانية قبل ظهور المسيحية.

تقول المؤرخة المسيحية (بتشر): (من المسائل المقررة في الأذهان أن مبدأ الرهبنة كان موجودا في مصر من قديم الزمان)[٣].

ويقول إدريس بل: **«ربما كان في طباع المصريين نزوع دائم إلى الزهد والتقشف مما جعلهم يميلون إلى التنسك والانصراف عن الحياة الدنيا»**[٤].

وفي تاريخ الديانة المصرية القديمة ما يشير إلى تلك المبادئ النسكية.

مثال ذلك ما يفتتح به الفصل الرابع والستون من كتاب الموتى ما نصه:

---

(١) قصة الحضارة المجلد الأول جـ٢ ص ١٥٥.

(٢) أدولف أرمان: ديانة مصر القديمة ص ٧ ترجمة د./ عبد المنعم أبو بكر، د./ محمد أنور شكرى. طبعة الحلبى.

(٣) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٤ ترجمة إسكندر تاضروس مطبعة مصر سنة ١٩٠٠م.

(٤) سير هارولد إدريس بل: الهلينية في مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، ترجمة زكى على، طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٩م.

«هذا الفصل سيقرأه رجل نظيف طاهر، لم يأكل لحم الحيوان أو السمك، ولم يخالط النساء».

وفي الفصل السابع والثلاثين بعد المائة ما يشبه هذا النص.

وفي طقوس إيزيس وأوزوريس جرى الكهنة على أن يخصصوا لآلهتهم فترات مختلفة للصوم والعبادة مع الامتناع عن أكل اللحوم والسمك وشرب الخمر(١).

وعلى مقبرة يرجع تاريخها إلى الدولة القديمة (٢) عثر على هذا النقش التالي:

كل من يدخل هنا يجب أن يكون نقيا وعليه أن يتطهر.

وكان كل من أراد أن يردد صيغة سحرية أن يغتسل، وألا يلمس امرأة، وألا يأكل لحم الماشية أو السمك(٣).

وهذه الميول النسكية المصرية تظهر بوضوح في الشروط التى وضعوها لمن يدخل المعبد.

فقد كان واجبا على كل من يدخل المعبد أن يتطهر وأن يمتنع عن الاتصال بالنساء، وأن يمتنع عن أكل بعض الأطعمة (٤).

هذا وقد تكونت في مصر جماعات كانت تتعبد بالرهبنة والعزلة.

يقول ولز **«وفي مصر على وجه الخصوص خرجت حشود كبيرة من الرجال والنساء إلى الصحراء، وهناك عاشوا عيشة عزلة تامة قوامها الصلوات والتأملات، وظلوا**

---

(١) راجع: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٨، دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٨.

(٢) يحدد المؤرخون تاريخ الدولة القديمة في مصر القديمة بين عامي ٣٢٠٠ ق. م - ٢٢٥٠ ق. م تقريبا.

(٣) ديانة مصر القديمة ص ٢١٤.

(٤) سبرج سونيرون: كهان مصر القديمة ص ٤٠ - ٣٧ ترجمة زينب الكردى. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.

يعيشون في فقر مدقع في الكهوف أو تحت الصخور على الصدقات التى تقذفها إليهم الصدفة من أولئك الذين يتأثرون بقداستهم» [١].

وقد كشفت مجموعة كبيرة من أوراق البردى - التي ترجع إلى العصر البطلمى - عن وجود حركة تنسكية حول معبد السرابيوم في ممفيس[٢].

وهذه الحركة تنسب إلى جماعة اسمها (كاتا شوى)[٣].

ومن دراسة هذه الوثائق تبين أن أفرادا من شتى الطبقات كانوا بناء على انفعال[٤] دينى ينذرون للإله نسكا وعبادة، متوحدين في قلالى، منقطعين عن حياة المجتمع في شتى مظاهره[٥].

والرأي السائد[٦] لدى المؤرخين أن هذا الانقطاع كان ذا صبغة دينية إذ تصور أولئك الأفراد أن الإله ناداهم لتأدية فروض عبادته، وخدمته، وربما

(١) ولز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ثالث ص ٧٣١ ترجمة عبد العزيز جاويد. الطبعة الثالثة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٧٢م.

(٢) د./ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٣ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٥م.

(٣) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣٠ دار الثقافة المسيحية سنة ١٩٨٥م.

(٤) يذكر إدريس بل: أن هذه الطائفة ظهرت بطريقة يكتنفها الغموض، وربما كان اتجاهها إلى هذا نتيجة رؤيا إلهية - كما يزعم - في حلم ولذلك التزموا خدمة الإله سيرابيس والاعتصام بداخل معبد السرابيوم (راجع: الهلينية في مصر ص ١٤٥).

(٥) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٣، راجع أيضا دراسات في تاريخ الرهبانية ص ٨.

(٦) ترى المؤرخة المسيحية (بتشر) أن هذا الانقطاع ربما لم يكن انقطاعا دينيا فتقول: (ومعلوم أنه قبل التاريخ المسيحي بأجيال ترهب كثيرون من المصريين الوثنيين حينئذ، ويحتمل أن رهبتهم لم تكن بحرية إرادتهم بل إن الأمة كانت تنتخب العجزة وأرباب العاهات وترسلهم إلى الجبال لهذا الغرض لأنها كانت تعتقد أن الصفات الطبيعية كحسن الخلق، والخلقة، إنما هي وراثية يتوارثها الأبناء عن الآباء، فلذلك لم تكن ترضى بوجود هؤلاء المشوهين في وسطها لئلا يتناسلوا ويكثر نسلهم فيفقد رونق الأمة ويحط من قدرها، كذلك كان المصريون القدماء يزعمون أن الرهبنة لا تحتاج لرجال من أولى الحصافة والكياسة، أو من الذين عرفوا بعلو المبادئ والصفات الأدبية (العظمى) (راجع: تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٤).

يكونون قد ذهبوا إليه من تلقاء أنفسهم تكفيرا عن خطاياهم [١] ولقد أظهرت هذه الدراسة أيضا أن من هؤلاء النساك من بقى طوال حياته متنسكا ومنهم من كان تنسكه لفترة معينة يعود بعدها إلى الحياة الدنيا[٢].

ويذكر المؤرخون أنه قد وجدت حركة تنسكية أخرى بين طبقة الكهنة في هليوبوليس في القرن الأول قبل الميلاد.

ذلك أن هؤلاء الكهنة الرهبان كانوا ينقطعون عن جميع أعمال المعبد المختلفة من أجل التعبد والتأمل، وكان سبيلهم في ذلك هو سبيل النساك الرهبان المألوف، من التوحد والتقشف والمبالغة في العبادة والصلاة.

والملاحظ أن حركة التنسك في هليوبوليس كانت تختلف عن نساك سرابيس في ممفيس، ذلك أنها كانت بين الكهنة فقط، أما نساك سرابيس فكانوا من عامة الناس[٣].

وفي نفس الوقت ظهرت في طيبة (الأقصر) جماعة تسمي «جيمنوسوفست» امتنعت عن أكل اللحوم ورغبات الجسد وعن الحسد[٤].

يضاف إلى هذا تلك الجماعة اليهودية التى كانت تعيش في مصر حول بحيرة مريوط في حياة رهبانية منعزلة والتي كتب عنها فيلون اليهودي [٥]. وسوف نتحدث عنها فيما بعد.

وكان يتحتم على الرهبان المصريين القدماء أن يغسلوا أجسادهم ثلاث مرات يوميا، في الصباح، وفي الظهر، وفي المساء وكانوا لا يأكلون اللحم مطلقا، وكانوا ينكبون على الدرس واستيعاب العلوم والمعارف وعلى العبادة [٦].

---

(١) من تعليقات د./ جوزيف نسيم يوسف على كتاب (عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة) لكولتون ص ١١٧ طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٧م.

(٢) مصر من الإسكندر الأكبر ص ٣٣٣.

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) جون لوريمر: تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣١.

(٥) فيلسوف يهودي عاش ما بين عامى ٢٠ ق. م - ٥٠ م.

(٦) بتشر: تاريخ الأمة القبطية جـ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن حركات الرهبانية انتشرت بين المصريين القدماء، وأن الميول النسكية كانت واضحة من خلال المبادئ المصرية المشتملة على بعض الآداب والفضائل والحكم العديدة.

وهذا يعني أن التنسك والرهبنة الدينية كانت منتشرة في مصر القديمة قبل ظهور المسيحية، وأن لها أصولا في البيئة المصرية قبل المسيحية.

ثالثا - الرهبانية عند بعض الجماعات اليهودية

لم تعلم اليهودية [١] أن حياة الزهد والتنسك هي الحياة المثلى - ذلك أنهم مالوا إلى المادية وأسندوا لله صفات النقص حتى اشتهر عنهم التشبيه والتجسيم[٢] - غير أن هناك بعض الممارسات الزهدية التي كانت جزءا من

---

(١) يذكر زميلنا الفاضل الدكتور فتحى الزغبى في أطروحته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة (أن المؤرخين اختلفوا في تفسير لقب يهودي هل هو راجع إلى حادثة وقعت من اليهود؟ أو إلى حالة كانوا عليها؟ أو أنه راجع إلى شخص اشتهر بينهم.

فهناك من يذهب إلى أن قوم موسى سموا يهودا حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا: إنا هدنا إليك، أي: رجعنا وتضرعنا. (تفسير الطبري جـ٢ ص ١٤٣، الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ ص ٢١٠، مفاتيح الغيب مجلد ٢ جـ١ ص ١١٢).

وهناك من يرى أنهم سموا يهودا لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة (مفاتيح الغيب مجلد ٢ جـ١ ص١١٢). ويذهب كثير من الباحثين إلى أنهم سموا يهودًا نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب ورأس السبط الذي أصبح معروفا باسمه راجع: المجتمع اليهودي ص ٩، د./ مراد كامل: الكتب التاريخية ص ١٥، أبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ٤٥).

وهناك من يرى أنه نسبة إلى يهوذا (وهي المملكة الجنوبية) مقارنة بالمملكة الشمالية (إسرائيل) (د./ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٣ ص ١٤٤، وقد رجح (د.فتحى) الرأي الأخير مبينا أنه أطلق على مملكة الجنوب بعد انفصال مملكة الشمال وظل هذا الإطلاق إلى أن سبى الأسباط العشرة (وهو ما يعرف بالسبي الآشوري ولم يبق إلا مملكة يهوذا بعد اختفاء مملكة الشمال ومن ثم حل اسم يهودي محل عبري للدلالة على نسل إبراهيم وأصبح لفظ يهودي اسم جنس يطلق على كل أفراد الشعب.

وهذا يعني أن تسمية اليهود جاءت متأخرة عن زمن سيدنا موسى عليه السلام وأنها لم تطلق في عصره.

ومن ثم فإن مصطلح اليهودية - الذي تسمى به الديانة الإسرائيلية بوضعها الحالي هي غير الدين الذي جاء به موسى عليه السلام، فدينه هو الإسلام. (راجع: الدكتور فتحى الزغبى: تأثر اليهودية بالأديان القديمة (رسالة دكتوراة ص ٤٧- ٥٥٥ كلية أصول الدين بطنطا سنة ١٩٨٧م).

(٢) راجع في تفصيل هذا المصدر السابق من ص ٤١٣ إلى ص ٤٥٠ وراجع أيضا.....=

الحياة اليهودية، مثل الأحكام المختصة بالأطعمة [١]، والأحكام المختصة بشريعة النذير، ذلك أنه كان يجب على النذير أو المنذور - وهو من ينذر نفسه لعبادة الله أو من ينذره والداه منذ ولادته وغالبا ما كان مدى الحياة - ألا يتعاطى الخمر، ولا الخل، ولا نقيع العنب، ولا يأكل العنب، ولا الزبيب، ولا يمر موسى فوق شعره، ولا يقرب ميتا، ويقدم التقدمات للرب من مواشٍ وخبز، وفطير وزيت[٢].

وكان بعض الآباء والأمهات ينذرون أبناءهم طيلة حياتهم مثل شمشمون [٣]، وصموئيل[٤] ويوحنا المعمدان [٥].

ويذكر الكاتب المسيحي جون لوريمر [٦] أن ما روى عن دانيال وصحبه [٧] في بلاط الملك نبوخذ نصر هو من الممارسات النسكية لدى اليهود.

فقد أصر دانيال وصحبه ألا يأكلوا من طعام الملك أو أن يشربوا من خمره، واختاروا طعاما بسيطا. يقول دانيال لرئيس السقاة: (جرب عبيدك عشرة أيام) فليعطونا القطاني [٨] لنأكل وماء لنشرب.. فكان رئيس السقاة يرفع أطايبهم وخمر مشروبهم ويعطيهم قطاني [٩].

* * *

=رسالة الماجستير لزميلنا د./ فتحى الزغبى والتى طبعت حديثا بعنوان: غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٦٣ مطبعة غباش بطنطا ١٩٨٨م.

(١) راجع سفر اللاويين.
(٢) سفر العدد ٦: ٢ -١٢.
(٣) قضاة ١٣: ٥.
(٤) صموئيل ١: ١١.
(٥) لوقا ١: ١٥.
(٦) تاريخ الكنيسة جـ٢ ص ١٣١.
(٧) يذكر سفر دانيال أنه رشح هو وثلاثة معه (حننيا - وميشائيل - وعزريا) للخدمة في قصر الملك نبوخذ نصر سنة ٦٠٥ ق. م).
(٨) القطني: ترجمة كلمة عبرانية بمعنى المزروعات، ويراد بالقطاني عند علماء العرب جميع الحبوب التى تطبخ كالعدس والفول واللوبيا والحمص (راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣٨).
(٩) دانيال ١: ١٢، ١٦.

طائفة الآسين «أو الأسينين»

أما طائفة الآسين (أو الأسينين) كما يسميها المؤرخون فهي طائفة يهودية نشأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وعاشت بعيدا عن مدينة أورشليم حيث انفردت بمساكنها حول شواطئ البحر الميت[١].

اختلف الباحثون حول اسم هذه الفرقة: أصله ومعناه.

والشائع بين العلماء أن الكلمة معناها **«الأطباء»** وأن أصلها، آرامي وهو كلمة **«آسيا»** بمعنى الطبيب والمداوي، أو كما تقول العرب **«الآسي»** وهى تفيد هذا المعنى في اللغة العربية التى تعد اللغة الآرامية أقرب اللغات السامية إليها[٢].

وعلى هذا الرأي يمكن تسمية هذه الفرقة بـ **«الأساة»**.

والقائلون بهذا الرأي يعتمدون على ما سماهم به الفيلسوف اليهودي (فيلون السكندري) وهو يكتب عنهم باليونانية إذ دعاهم **«ثيرابوتى ثيو»** التى تعنى لأول وهلة **«أطباء الله»** ومع ذلك يبقي إشكال حول هذا التخريج وهو أن كلمة **«ثيرابوتى»** لها في اللغة اليونانية معنيان:

أولهما: الأطباء.

والثاني: الخدم أو الوصفاء [٣].

يقول العقاد: **«ومن المعقول أن يسمى أصحاب هذا المذهب بالآسين لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد، كما يدعون العلم بخصائص العقاقير»**[٤]

---

(١) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٥.
(٢) العقاد: حياة المسيح ص ٤١ دار الهلال.
(٣) د./ حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ٢٦٦ - ٢٦٧.
(٤) حياة المسيح ص ٤١ - ٤٢.

ومال بعض الباحثين إلى اشتقاق اسم هذه الفرقة من اللفظ اليوناني (أو سيوى) التى تستعمل بمعنى «القديسين» أو «الأبرار».

كما ربطها غيرهم باللفظة اليهودية القديمة «حسيا» أو «حسين» بمعنى «الأتقياء» وهذا التخريج مشكوك فيه لانعدام الوثائق الصريحة التى ترد فيها الكلمة بالمعنى المذكور في التراث اليهودي.

وهناك من يقول بإرجاعها إلى اللفظ اليوناني «حاشيا» أي الصامت الذي لا يتكلم وتكلف آخرون فأرادوا جعلها صيغة محرفة من «ساحيا» التى معناها نزل إلى الماء وسبح فيه. وبنوا على ذلك أن هذه الطائفة ربما كانت تعتقد دينيا في المعمودية أو الغطاس أو الطهارة بالاغتسال الكامل في الماء[١].

والرأي الأول هو الراجح لما سبق أن بينا.

والآسيون - كما جاء في موسوعة بلينيوس الكبير (٢٤-٧٩م) - هم جماعة من اليهود عاشوا في ساحل البحر الميت الغربي بعيدين عن وجوه المضر، وأنهم كانوا ميالين للوحدة غريبين في أمورهم، عاشوا بين أشجار النخيل بدون نساء، متحرزين من النقود، وعلى الرغم من هذا فإن عددهم لم يهبط لأن كثيرين ممن أتعبتهم الحياة انضموا إليهم [٢]

وعددهم - كما قدره المؤرخ اليهودي يوسيفوس مؤرخ القرن الأول بعد الميلاد (٣٧-١٠٠م) - لا يزيد على أربعة آلاف يعيش أكثرهم في جنوب فلسطين [٣] (في وادي القمران).

يقول جورج سارتون (الأسينيون فرقة يهودية منظمة على شكل أخوية أو رهبنة. وقد ازدهرت هذه الفرقة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى العصور

(١) راجع كل هذه الآراء في: الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٦٧.

(٢) د/ حسين عمر حمادة: مخطوطات البحر الميت ص ٤٦ دار منارات للنشر ط الأولى سنة ١٩٨٢م عمان.

(٣) حياة المسيح ص ٤١.

الميلادية الأولى، وكان نظامهم شيوعيا (أي كل شيء كانوا يملكونه كجماعة) وكانوا على جانب كبير من التقشف والزهد، وكانوا شغوفين بالمعرفة شغفا شديدا فأسسوا لهم مكتبة كبيرة. وقد أسس دير وادي قمران [١] حوالي سنة ١٣٦-١٠٦ قبل الميلاد، وظل مأهولا يقيم فيه الأسينيون حتى سنة ٦٨ بعد الميلاد)[٢].

أما عن أهم أفكارهم ومعتقداتهم [٣] فهي كما يلي:

(١) الاعتزال عن الناس والارتباط القائم بين أعضاء الجماعة بعهد مقدس، ويمين يحلفونه عند الدخول في الجماعة ثم لا يحلفون بعده يمينا أبدا.

(٢) كانوا يلبسون الثياب البيضاء ويحرصون على نظافتها ونظافة أجسامهم والظهور بمظهر طيب، وكانوا يهتمون بتهذيب شعر الرأس واللحية والتطهير بالاغتسال والغطاس في الماء.

لذلك يقول عنهم يوسيفوس (وكان الرجل منهم يلبس ثيابا من نسيج التيل الأبيض ويحمل معه فأسا صغيرة ليغطى بها فضلاته ويغتسل بعدها كما يغتسل البراهمة ويرى أن التبرز في يوم السبت من أعظم الكبائر)[٤].

(٣) المعيشة الجماعية في دار عامة للطائفة بعيدا عن الناس يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية من زراعة أو صناعة أو طبخ أو تنظيف أو تعليم أو تأليف وكانوا يعيشون حياة شبيهة بحياة الأديرة المسيحية.

وكان لهم تنظيم داخلي، ففي كل دار من دورهم التى يعيشون فيها هذه

---

(١) لم يكن هذا اسم الدير القديم إنما هذه التسمية حديثة العهد بناء على أن المكان الذي وجدت فيه آثار الدير يعرف الآن بوادي قمران.

(٢) جورج سارتون: تاريخ العلم جـ٥ ص ٥٣ ترجمة لفيف من العلماء، دار المعارف الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٦٧.

(٤) قصة الحضارة المجلد الثالث جـ ٣ ص ١٧٥.

الحياة الجماعية رئيس لهم يعظمونه ويطيعونه، ومن تحته كان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم لا يتعداه حتى ولو بالكلام.

(٤) كانوا يحرمون في عبادتهم الذبيحة ويرون فيها لونا قاسيًا من سفك الدماء مخالفين في ذلك أكثر فرق اليهود.

وكانوا أيضا يمتنعون عن أكل اللحوم وعن إسالة الدماء وكانوا نباتيين ملتزمين بذلك في حياتهم اليومية.

ولقد سبق أن بينا أن بعض الهنود كانوا يعتقدون بمثل هذا، لذلك رأى بعض الباحثين أن الآسيين قد تأثروا في ذلك بشيء من الفلسفات الهندية القديمة.

يقول ول ديورانت «**أو لعلهم قد تأثروا أيضا بآراء البراهمة والبوذيين والمجوس عبدة النار والفيثاغوريين والكلبيين**[١] وهي جاءت إلى أورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب آسيا»[٢].

(٥) كانوا يأخذون أنفسهم بالتقشف والقناعة وكانوا يعيشون في زهد وتقشف شديدين.

---

(١) الكلبيون مدرسة انتسنانس (٤٤٤- ٣٦٨ق. م) الذي ولد في أثينا وتتلمذ لـ «**غور غياس**» (٤٨٠- ٣٧٥ ق. م) ولذلك نشأ على السفسطة ثم عرف سقراط ولزمه وبعد وفاة سقراط أخذ يعلم، وكان يجتمع بتلاميذه في مكان اسمه «**الكلب السريع**» فأطلق عليهم اسم «**الكلبيين**» ولعل هذا الاسم لحقهم بالأكثر لسماجتهم وغرابة أطوارهم، فقد كان انتستانس معجبا بتواضع سقراط وبساطة معيشته وحرية قوله فأسرف في محاكاته وأسرف تلاميذه والكلبيون تقوم تعاليمهم على احتقار الموضوعات الاجتماعية والزهد في اللذات وعلى التزام قانون الطبيعة، والقول بأن الفضيلة هي الخير الوحيد، ولذلك كانوا يشترطون للانضمام إلى زمرتهم أن يعدل المريد عن خيرات الدنيا وأن ينزل عن مكانته الاجتماعية فيلبس لبس عامة الشعب ويرسل شعر الرأس واللحية (راجع يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٩ - ٢١٢).

(٢) قصة الحضارة مجلد ٣ جـ٣ ص ١٧٤.

«والمادة عندهم مصدر الشرور كلها، والسرور بها سرور بالدنس والخيانة»[١]

ويقال عنهم: إنهم كانوا يحرمون على أنفسهم الزواج.

يقول يوسيفيوس في كتاب (حرب اليهود) (إن الآسينيين ولدوا يهودا وتحابوا أكثر من غيرهم وأنهم اعتبروا لذات الجسد شرورا وذنوبا، واعتزوا بالعفة، والتعفف، وجعلوا من التغلب على الشهوات فضيلة. وهم يهملون الزواج وينتقون من أولاد غيرهم الذكور من يعتبرونهم منهم فيقبلونهم صغارا ذوى قابلية للتعلم ويطبعونهم بطبائعهم، وهم يحتقرون الثروة والغنى ويميلون للتآلف والمشاركة) [٢].

هذه هي أهم مبادىء طائفة الاسينيين :

والخلاصة: أن الآسينيين انتهجوا حياة الرهبنة والتخلي عن مطالب الدنيا والمبالغة في الاغتسال مرارا عديدة كل يوم، وكانوا في الغالب يمتنعون عن الزواج، ويعيشون فيما بينهم حياة مشتركة مكتفين في غذائهم بالأغذية النباتية، ممتنعين عن أكل اللحوم لأنهم كانوا يكرهون سفك دم الحيوان حتى إنهم كانوا لا يدخلون هيكل أورشليم بسبب ما كان الكهنة يذبحون فيه من ذبائح [٣] وقد تأثروا في هذه العادة بالبراهمة وبعض الفلسفات الأخرى.

وهذا نموذج واضح للرهبنة اليهودية قبل ظهور المسيحية.

طائفة الثيرابيوتى «المتنطسين» في مصر :

وكان جماعة من اليهود الذين يعيشون في مصر قد اعتزلوا العالم - رجالا ونساء - وهجروا المجتمع وما فيه من روابط اجتماعية وعاشوا حياة زاهدة وابتعدوا عن مباهج الحياة الدنيا.

يقول العقاد عن هذه الطائفة (وخرجت من مصر أيضا نحلة قوية على قلة

(١) حياة المسيح ص ٤٣. (٢) مخطوطات البحر الميت ص ٤٦.

(٣) راجع زكى شنودة: المجتمع اليهودي ص ٣١١ مكتبة الخانجى.

عدد المنتمين إليها وهي نحلة المتنسطين (Theurapeuticy) التى ذكرها الحكيم الإسكندرى (فيلون) وقال: إن أتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد. واسمهم اليوناني معناه الآساه أو المتنطسون وأكثر صوامعهم كانت على مقربة من الإسكندرية حول مريوط القديمة، ويظن بعض المؤرخين أن هؤلاء المتنطسين هم أساتذة النساك اليهود الذين يسمون الآسين، أو بالاسينيين[١].

وقال عنهم «فيلون» إنهم يبدءون بالصلاة عند الفجر ثم يمضون يومهم بالتأمل في التوراة ثم يختمونه بالصلاة عند المساء، وقد عرف عنهم مداومة الصلاة، ويجتمعون أيام السبوت للعبادة معا داخل معبد عام يقع وسط منازلهم أو أكواخهم. كما اعتادوا الاحتفال بيوم الفصح فيجلسون على الأرض الجرداء إذلالا للجسد مع تناول طعامهم من الخبز والملح. ثم يقوم بعض من أفرادهم بترنيمات وتختتم ببعض الرقصات.

ومما لوحظ بين تلك الفئة من النساك اشتراك بعض من العذارى والعجائز معهم أثناء تأدية طقوسهم الدينية [٢].

وكانوا أيضا يمسكون عن شرب الخمر وأكل اللحم[٣].

فالمتنطسون جماعة من يهود الإسكندرية اتخذوا من قومهم مكانا قصيا حول بحيرة مريوط وانقطعوا للتعبد والرهبانية.

هذه هي أهم مظاهر الرهبانية عند بعض الجماعات اليهودية.

* * *

(١) حياة المسيح ص ٦٣. (٢) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٢٦.
(٣) د./ مصطفى العبادى: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص ٣٣٤.

رابعا- الرهبانية في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة

والأفلاطونية الحديثة يمكن تعريفها بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، أو دين مفلسف وهو مذهب قام على أصول أفلاطونية، وتمثل عناصر من جميع المذاهب، فلسفية ودينية، يونانية، وشرقية، بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة غير أن رجاله حرصوا على الاحتفاظ بالروح اليوناني خالصا(١).

وقد ظهرت هذه المدرسة في الإسكندرية ملتقى طرق الشرق والغرب، ففيها كانت توجد مؤثرات دينية فارسية، وبابلية، وبقايا الشعائر المصرية القديمة، وطائفة يهودية قوية تمارس عقيدتها الخاصة، وفرق مسيحية، يضاف إلى هذا كله خلفية عامة من الحضارة الهلينستية(٢).

مؤسس هذه المدرسة «**أمونيوس ساكاس**» (١٧٥ - ٢٥٠م) ولكنه لا يعرف عنه إلا القليل فلم يدون آراءه ولم يصلنا تفاصيلها، حيث إنه كان يفرض على تلاميذه كتمان تعاليمه تقليدا للأسرار اليونانية (٣).

وأهم تلاميذه «**أفلوطين**» (٢٠٤ - ٢٧٠م) الذي ولد في مصر ودرس في الإسكندرية حيث عاش حتى عام ٢٤٣م.

يقول ول ديورانت -عن أفلوطين - «**كان يعيش معيشة القديسين وسط ترف روما ورذائلها فلم يكن يعنى بجسمه بل إنه كان يستحى أن يكون لروحه جسد، ومن الأدلة الناطقة باحتقار جسده أنه أبى أن يقف أمام المصورين بحجة أن جسمه أقل أجزائه شأنا، وحرم على نفسه اللحم، ولم يأكل من الخبز إلا قليلا، وكان بسيطا في عاداته، ابتعد عن كل العلاقات الجنسية وإن لم يذمها**» (٤).

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٥.

(٢) برتراند رسل: حكمة الغرب جـ١ ص ٢٢٦ (سلسلة عالم المعرفة).

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٦.

(٤) قصة الحضارة مجلد ٣ جـ٣ ص ٣٠٠.

ويقول ريكس وورنر: «**كان أفلوطين يريد أن يقول بكل تأكيد إن المادة - وهى الجسم في الكائنات البشرية - شر وعلة للشر**»[١].

أما عن أهم مبادئ الأفلاطونية الحديثة - والتي تتعلق بموضوع بحثنا - فهي كما يلي:

(١) الدعوة إلى التحرير من عبودية الجسد بالحياة النسكية التقشفية.

(٢) مراعاة الجانب التأملى في الحياة، والمناداة بأنه إذا تطهرت الروح من النزعات العالمية وسمت عن الدنياويات أمكنها أن تصل - في نظرهم - إلى درجة من الروحانية النورانية إلى التأمل في الله.

(٣) لن تتحرر الروح عن الملذات المادية والنزوات الدنيوية إلا عن طريق التقشف وإذلال الجسد والاعتزال عن العالم ومباهجه والزهد فيه[٢].

فالأفلاطونية الحديثة دعت إلى التحرر من الجسد ولا يكون هذا - في نظرهم - إلا باعتزال العالم والتنسك والتقشف.

وبعد...

فهذا عرض تاريخي للرهبانية قبل المسيحية، ويظهر منه أن الرهبانية كانت منتشرة بين الشعوب القديمة قبل ظهور المسيحية.

* * *

(١) ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق ص ٢٧٧ ترجمة عبد الحميد سليم ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

(٢) تاريخ الرهبنة والديرية في مصر ص ٣٢.